من الصميم

يا أختاه . . .

إلى الفتاة المصرية :

صحراء الحياة موحشة يا أختاه ، تشيع فى شعابها المخاوف وتحتفز على هضابها الوحوش، وتكمن فى كهوفها الحتوف ، وتحوم فى سمائها العقبان . . .

ومرحلة الجهاد طويلة . . .

ونحن المدلجين فى صحراء الجهاد ينقضنا رفاق يحملون عنا بعض ما ننوء به حتى لا يأخذنا اليأس ، ويحملون أمامنا المشاعل حتى لا نأخذ على غير الطريق .

نحن بحمد الله أقوياء ما سلبنا الألم الأمل وإن طال وغلا ، وما غلبنا اليأس على بعد الشقة واتصال المشقة . . . ولكن :

إذا الحمل الثقيل توازعته أكف القوم هان على الرقاب

فى عنقك الجيل دين يا أختاه ؛ وعلى عطفك الرقيق تبعة هائلة :

إن كنت تؤمنين بحق الوطن فاستعدى لتعدى لمصر جيلا جديداً أمينا على الميثاق ، متينا بالأخلاق ، قويا لا يهاب فى سبيل مصر الموت ، مؤمنا لا يرتاب فى حق بلاده وصدق جهاده

إن كنت أما : فعلمى طفلك الدين أولا ، ثم حدثيه عن مصر ، اقرئى له صحف المجد الأولى ، صحف أجداده من سادة الزمان ، وقادة العالم وشادة الهرم ، لقنيه تاريخ الأبطال فربما نفعت الذكرى ، حدثيه عن (مصطفى كامل) المجاهد المؤمن الشاب كيف جاهد ولما يتخط العشرين فتداولته ألوان العسف وتناولته ضروب الارهاق ؛ فلم يصرفه ذلك عن السبيل ولم يصدفه عن الغاية ؛ حدثيه عن (محمد فريد) كيف ضحى فى سبيل مصر بالمنصب والراحة والصحة والمال وكيف مات غريبا واهتف معه : لتحى التضحية !

فاذا فرغت من تاريخ أشراق النهضة فحدثيه عن انبثاق الثورة ففيها من روائع آيات التضحية وبدائع صفحات الوطنية ما يهز نفوس المخلصين فخرا ، ويحفز نفوس الناكصين فى طريق المجد . . هناك (سعد زغلول) حمل الراية فى أعصب الظروف وقد تساقط من حولها المجاهدون وكان له فى مناهضة الاحتلال ومعارضة أهله بجولات لا يزال يذكرها الذاكرون

وشىء آخر أحب أن تلفتى نظر بنيك إليه :

فى الألزاس واللورين نوعان من (الشيكولات) أحدهما مر والآخر حلو ، والوالدة تبدأ فتعطى لطفلها المر منهما ؛ فاذا بكى أفهمته أن هذه ألمانيا ... سبب هذه المرارة ثم أعقبت فاعطته القطعة ، الحلوة فيصفو ويبسم فتفهمه أن هذه فرنسا . حلوة كهذه القطعة ؛ هنا قياس طرفه الثانى محذوف للظروف فاستخلصى منه النتيجة والحكمة والموعظة إن كنت مدرسة

فرسالتك مهمة ، ومجالك متسع ، وأثرك بعيد ، وخطرك شديد ، ودورك يبتدىء حيث ينتهى دور الأم . لقد أعدت لك التربة ، ومهدت لك منها ما جفا فغرسى فيها الأصول الطيبة بالموعظة الحسنة والقدوة الحسنة ، علمى تلميذتك كيف تفنى فى الحق وتغضب للكرامة وتثور للوطن وتستشهد فى العقيدة والواجب فى أسماء بنت أبى بكر يوم ساقت ابنها عبد الله إلى الموت ، وفى الخنساء يوم فقدت بنيها الأربعة ، وفى المرأة الاسبرطية يوم صرخت فى ولدها الجندى « عد بترسك أو محمولا عليه » فى كل أولئك صور من الفناء فى الحق والواجب .. وأخيرا :

ملاحظة لست أرفع القلم دون أن أثبتها

قابلت فى قطار الصعيد فتاة مدرسة فى القاهرة ومعها طالبات لا تقل صغرا هن عن ست عشرة سنة فاتصلت بيننا أسباب الحديث وتشققت نواحيه ، فكان من رأيهن جميعا ان المرأة لا تقع فى الذكاء والعقل دون الرجل ، وزادت المدرسة أنه يجب أن يباح للمرأة من الحريات والاعمال ما يتاح للرجل ، وكنت أعتقد ان هذا لا يخرج عن كونه نقاشا ومكابرة ! وراعنى أن تخرج المدرسة (علبة سجائرها) أمام طالباتها وتقدم لى سيجارا ! ! أفى هذه الوجوه وحدها تطلبين المساواة ؟ أنا مسلم يا أختاه أن رسالة المرأة فى الحياة لا تقل أهمية عن رسالة الرجل ، ولكن كل ميسر لما خلق له ؛ ولو شاء ربك لجعل الناس جنسا واحدا رجالا أو نساء ، ولكنه خلق المرأة لتكون كالظل يسكن إليها المجهود ؛ فيجد فى أحضانها مقيلا ينسى فيه لفحات الشقاء وسفعات الحياة . . . لتكون كالشاطىء يعود اليه الملاح بعد اضطراب الموج وثورة الزوابع . لم يخلقها لتحترف التنس والجولف . خلقها لتزين العش لا لتوزع وقتها بين الحدائق والزيارات والسينما . خلقها لتشارك الرجل فى السراء والضراء لا لترهقه من أمره عسرا . خلقها لتعد نفسها أبناءها ، لا لتتركهم لعناية الخدم والمربيات . . . تلك يا أختاه رسالة المرأة : أما ما عدا ذلك فباطل ؟

محمود البكرى القلوصناوى